Revue des lumiers
Revue spécialisée en sceince humaines, pensée et communauté
Publié par centre Al-Isbaah pour l'education, les études civilisationnelles, et stratégique

مجلة مختصة بالعلوم الإنسانية والفكر والمجتمع
مجلة أكاديمية فصلية محكمة
تصدر عن مركز الإصباح للتعليم و الدراسات الحضارية والإستراتيجية

مجلة الإصباح

العدد 03 أغسطس 2019
(online) ISSN 2649-4744

-العقل الجيواستراتيجي بين الجغرافيا الاجتماعية والجيوسياسية (د.جمال محمد الهاشمي)
- الأمن القومي... النهج والهيكلة والمستوى (د. ميثاق بيات الضيفي)
-النسب من قبل الأم (د.م ثرية اقصري)
-االعلوم الإنسانية وسيسيولوجيا العلم المعاصر (.د قاسم المحبشيه)
- التخطيط اللغوي وتنمية اللغة العربية (د. بوجمعة وعلي)
- أثر التدريس وفقاً لأنموذج تحفيز التفكير الذهني في التحصيل الدراسي لدى طلبة قسم الفيزياء -كلية التربية (م.د ايثار عبد المحسن قاسم)
-أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم اللغة الإنجليزية من وجهة نظر معلمي المادة بمحافظة عدن (د.عبد السلام عوض أحمد لبهص ، د. ادريس سلطان أحمد مقبل)
-الادارة المتكاملة للموارد المائية لحوض دلتا تبن (د.م حسن احمد حنبلة)
- معايير مقترحة لإعادة توظيف المباني التراثية في منطقة الخرطوم الكبرى؛ كمدخل للحفاظ عليها (د.ندى محمد رمضان عبد الحي)
- الحسّ الوقائي في تراث العمران الصحراوي الجزائري: قصر تمنطيط بولاية أدرار نموذجا (السيد عبد الحميد بن حاج خليفة)

العقل الجيواستراتيجي بين الجغرافيا الاجتماعية والجيوسياسية

The geostrategic mind between social and geopolitical geography

د. جمال محمد الهاشمي

رئيس مركز الإصباح للتعليم والدراسات الحضارية والاستراتيجية

Dr .Gamal Alhashimi

Head of the Alisbaah Center for Education and Civilization and Strategic Studies

g.alhashimi@yahoo.fr

ملخص:

تتناول الدراسة طبيعة العلاقة بين المحددات الاجتماعية والمحددات الجغرافية وتأثيرهما على أمن الدولة واستقرارها، ومن جهة أخرى ودور الدولة في تنمية الوعي السياسي بعلم الجيبوليتك والاستراتيجيات العسكرية، وعلم المجتمع والسياسات الناعمة من جهة ثالثة .

ومن ثمة ربط الاستراتيجيات الموضوعة بالأهداف الكلية التي يؤسس لها الفكر الغربي ويسعى لتطبيقها لتوسيع مجالاته الحيوية بحسب أطروحاته النظرية وقراءته للواقع الاجتماعي والاقتصادي، ومحاور الجغرافيا التي تتناسب مع طبيعة الآليات العسكرية البرية والبحرية،.

ويرى البعض أن نظرية القوة الجوية مع التطور التكنولوجي لا يمكن أن تدخل ضمن مفهوم بالاستراتيجية إلا أن تكون مكملة للاستراتيجيتين البحرية أو البرية، وتوجد نظريات سيوسياسية أصلت الاستراتيجيات جديدة استهدفت توظيف المجتمعات من داخل الدولة المستهدفة لإضعافها بنزعات انفصالية وتحررية وثورية، أو اخضاعها لقوى إقليمية أو دولية تتحكم بإرادة النظم فيها لخدمة الدولة المسيطرة من مدخل استراتيجية الجيوبوليتك كمرحلة جديدة مقاربة لنظريات الاستعمار القديم وأهدافه بآليات واستراتيجيات تتناسب مع المتغيرات الدولية والإقليمية والدولية.

Abstract:

The study dealt with the nature of the relationship between social determinants and geographical determinants and their impact on the security and stability of the state.

On the other hand, the role of the state in developing political awareness of political geography and military strategies, and the science of society and soft policies on a third hand.

And from there linking the developed strategies with the general objectives for which Western thought establishes, and seeks to apply them to expand its vital areas according to its theoretical theses and its reading of social and economic reality, and the axes of geography that are commensurate with the nature of the land and sea military mechanisms.

Some believe that the theory of air power with technological development cannot be included in the concept of strategy unless it is complementary to naval or land strategies.

And it controls the will of the regimes in the target or rogue state, to serve the dominant state from the entrance to the geopolitical strategy as a new phase approaching the theories of old colonialism and its goals with mechanisms and strategies commensurate with international, regional and international changes.

المقدمة:

تعتبر المحددات من الضوابط المنهجية للتفكير الجيوسياسي وهي الخلاصة المستحضرة عن الوعي التاريخي والمعطيات الاجتماعية والجغرافية، والمتولدة عن التجارب التاريخية المنقولة والمدونة، وكذلك التجارب الاجتماعية المعاصرة التي تؤسس لعقل سياسي تاريخي جديد يعيد الماضي بسلبياته وفي أحسن الأحوال يسعى لتغييره ومقاومته والاستفادة منه بما يتوافق مع الحاضر ومستقبله؛ وهو من القضايا الحيوية في الفكر الغربي الذين أعادوا التاريخ ضمن تلك المحددات في العالم الحديث، واستطاعوا توظيف الموروث الحضاري القديم ليس لإعادته كما هو أو الدفاع عنه.. وإنما لإعادة تكوين الذات من داخله، وللاستفادة من التجارب الإنسانية؛ حيث يتجدد الفكر بمعطيات معاصرة إضافية لما سبق وضعه بما يتناسب مع متغيرات الوعي التاريخي واحتمالاته المتوقعة، وتعد أم العناصر التي ارتكز عليها الوعي الغربي الحديث؛ الوعي الجيوليتكي وعنصر الجغرافيا، والوعي الاجتماعي بما يحمله من قيم حضارية وثقافية متعايشة مع الواقعية السياسية والنظريات الجيوسياسية.

الإشكالية:

تؤطر الجغرافيا لمجتمع ما وهو بدوره وحيويته يشكل البيئة الاجتماعية العامة للنظام السياسي كبيئة نخبوية قيادية للمجتمع تتأثر بواقع البيئة الحاضنة، والطبيعة الجغرافية، وقد شكلت العلاقة التاريخية التفاعلية بين النظام السياسي والجغرافيا علم الجغرافية السياسية ومنها تولد علوم الجيوليتك كما أن ارتباط المجتمعات بالتحولات الجغرافية شكل الذهنية المجتمعية في سياق ارتباطها بالوعي التاريخي العام، ويتمحور السؤال الإشكالي حول طبيعة العلاقة التكاملية بين المجتمع والجغرافيا والنظام السياسي ودورهم في تأصيل علم الجيبولتيك وتنمية العقل الجيواستراتيجي.

الفرضيات.

يعتمد البحث على فرضية أحادية هي.

هناك علاقة طردية بين فاعلية المحددات الاجتماعية والجيواستراتيجية وتنمية العقل الجيواستراتيجي.

المنهج:

اعتمد البحث كمحور أساس على المنهج التحليلي في بعض مقارباته التركيبية والتحليلية دون استخدام الطرف الآخر المتعلق بالمقاربة التفكيكية.

أولا: الجيبوليتك ومحددات التفكير الجيوسياسي.

تجمع نظرية الجيبوليتك بين الوعي التاريخي ومبادئ النظام الاجتماعي ومحددات التفكير الجيوسياسي كعنصرين أساسين من عناصر عدة؛ لتحليل وضع الأمن القومي، ولأهمية دورهما في تنشيط الذهنية الاستراتيجية القادرة على التنبؤ بالمتغيرات الإقليمية والاستعداد

لأسوأ الاحتمالات المتوقعة، ومن ثم استطاعت أمريكا أن تحدد بنية النظام الدولي خلال الحرب الباردة من مدخل القوة والجغرافيا والفكر أو الليبرالية التي تبنتها كأيدلوجية مناهضة للشيوعية[1].

وبنيت نظريات العلاقات الدولية على منهج الاستقراء ومناهج فلسفية بنيت على المفاهيم الحضارية وكله يكشف المعايير التي تحدد السلوك الدولي، وما علاقة المصلحة القومية بالممارسات السياسية، وماذا يعني مفهوم القدرة ومقومات الدور الذي يترجم مكانة الدولة وتأثيرها محليا وإقليميا ودوليا، ثم استكشاف طبيعة العلاقة بين معطيات القوة والنفوذ والدور ومستويات التأثير[2].

بدأت مصطلحات الجيبوليتك تنتظم من حيث التقسيمات الإدارية مع ماكيندر الذي صك مصطلح الإقليم كمجال حيوي جيبولتيكي وحدد لكل إقليم مقوماته وإمكانياته، واضعا نظاما جيبوليتكيا للخارطة الجغرافية الطبيعية للقارات، لخدمة الدول الأوربية وسياساتها الاستعمارية[3].

ومن جهة أخرى كانت الذهنية الجغرافية تستكشف طبيعة مقومات الدولة وقوة تماسكها الداخلي ، بالإضافة إلى أهمية حدودها وطبيعتها الجغرافية من منظور الأمن الجيبوليتكي، ونوع الأحزمة والمجالات الحيوية؛ حيث تتميز بعض الدول بوجود انسجام طبيعي بين المركزية وخطوط الجيو سياسي والجيو ثقافي والحدود الطبيعية، وجغرافية حدودية منفصلة عن الدول الأخرى؛ كاليابان وبريطانيا؛ حيث يضع المركز سياسة تدخليه أثناء الانفتاح الإستراتيجي، وسياسة انطوائية في حالات أخرى، وأكثر المواقع الجغرافية تميزا هو موقع الولايات المتحدة الأمريكية في قارة مستقلة بعيدة القارات القديمة، وكذلك مقومات أخرى. بينما تلتهب العوامل الثقافية الاجتماعية والسياسية على الحدود الألمانية في براندنبورغ التاريخية وبروسيا[4].

ترتبط الجيوستراتيجية بالإقليم بينما ترتبط الدولة بالجيوبوليتيك كأهم محددات القوة في العلاقات الدولية، وينضبط الجيوبوليتيك بسياسة الإقليم، فإذا تميز بأهميته الاستراتيجية والاقتصادية يشكل مجالا حيويا للقوى الدولية. أما إذا تنوعت مستويات الوحدات الإقليمية؛ فإن الدويلات تتعرض لتهديد الدول الكبرى، ويقاس نفوذها بما تمتلكه من معطيات القوة عكس الإقليم الجيوبوليتكي الهش الغني بثرواته، والمتأثر بنفوذ القوى الكبرى؛ فالإقليم:"هو الذي يعبر عن المناطق التي تمتلك تكاملا استراتيجيا داخليا تلتقي فيه عدة خيوط جيوسياسية وجيوثقافية وجيواقتصادية "[5].

وقد اعتقد ماكيندر في العصر الحديث أن آسيا هي المركز الجغرافي، ونهاية التاريخ والقوة الاقتصادية والديمغرافية والقومية، وعدها جغرافية حتمية ثابتة مهددة لأوروبا، ويمكن السيطرة عليها بتعظيم القوة العسكرية البحرية؛ لتوسيع نطاق المجال الحيوي والتمدد العضوي لتحقيق السيطرة على موارد القارات الأخرى البشرية والمادية؛ كمعطيات طبيعية للحضارات المتقدمة[6] والصراع وفقا لهذه النظرية يلغي فكرة

---

[1]– بيترتيلور، كولن فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، ج1، ترجمة، عبد السلام رضوان، إسحق عبيد، عالم المعرفة، ع282 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يونيو 2002) ص115–117

[2]– Robert O. Keohane, After Hegemony: Cooperation and Discord in the World Political Economy (New Jersey: Princeton University Press 1984) p6

[3] – Halford J. Mackinder, The Round World and the Winning of the Peace, Foreign Affairs Vol. 21, No. 4(New York: Council on Foreign July 1943) p 595–60

[4]– أحمد داوود أغلو، العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة، محمد جابر ثلجي، طارق عبد الجليل، ط2 (الدوحة–بيروت: مركز الجزيرة للدراسات–الدار العربية للعلوم ناشرون 2001) ص39–40

[5]– أحمد داوود أغلو، العمق الاستراتيجي، مرجع سابق، ص40

[6]– ميشيل هيفرتان، نهاية قرن ام نهاية عالم؟ في أصول الجيوبوليتيكا الأوربية 1890–1920، في كلاوس دودز، ديفيد أتكنسون (محرران)، الجغرافية السياسية في مائة عام: التطور الجيوبولتيكي العالمي، ترجمة، عاطف معتمد، عزت زيان، ج1 (القاهرة: المركز القومي للترجمة 2010) ص61–66

السيادة القومية ضمن نسق الحضارة الواحدة ويحوله إلى صراع ثقافي تاريخي أصولي بيولوجي[7]. وبناء عليه قسم أغلوا الحضارات وفقا لقدراتها الجغرافية وطبقا لذلك قسم أدوارها السياسية إلى صانعة، وأخرى متوافقة. بينما هناك دولا تعيش على الهامش وتتبع مسالك الانخراط في مجرى وتوجهات سياسات الدول العظمى[8].

قسم الأرض من مدخل الفكر الجيبوليتكي الأوربي إلى دول شرق أوروبا ويرتبط هذا التقسيم بالبعد التاريخي والغزوات القادمة منها، بالإضافة أهمية البحر المتوسط كقوة قطبية تربط القارات العالمية، ومن يتحكم بالبحر المتوسط يتحكم ببقية الأطراف العالمية[9]، كما حدد أهمية منطقة آسيا الوسطى بالقوة الجغرافية التي تتكون فيها "أوراسيا" والتي هي المركز التاريخي للإمبراطوريات العالمية[10].

تميز هالفورد ماكيندر كأكاديمي جيوسياسي وسياسية بذهنية استراتيجية أصلت للنظرية الجيبولتيكية وقد مكنته قراءته الواعية للتاريخ والجغرافيا على إبراز أهميتهما كعنصرين من أهم عناصر صناعة القرارات العسكرية التي تتناسب مع السياسات الواقعية؛ أحدهما يتعلق بالجانب الاجتماعي والثاني يتعلق بطبيعة الجغرافيا الجيو استراتيجية[11]، وكان أول من أظهر نظرية الإسكندر وأعاد تنظيمها الجغرافي وفقا لمتغيرات التاريخ وتحولات الجغرافيا.

وقد بدأت نظريته على أساسين منهجيين أحدهما: الاستنباط وهو الأصل المعتمد، ثم الاستقراء كمنهج تجريبي اختياري لحقيقة الكليات التاريخية لمفهوم الأرض، وتوصل إلى نظرية العمق أو المثلث الإستراتيجي العالمي لأهم ثلاث مناطق حيوية منتجة للنفط تتمدد في منطقة الخليج، وقزوين، وشرق آسيا في بحر الصين الجنوبي، وحوض تاريم في الصين الغربية، وحقل غازيادانا في بحر إندامان[12]، وقد تأثر به المفكر الجيوسياسي الهولاندي الأمريكي "نيكولاس سبيكمان" مؤسس نظرية الإطار ومفهوم الحزام واستراتيجية الاحتواء وكان الهدف من نظرية الإطار تحديد المناطق المحيطة بالاتحاد السوفيتي لمنع اتصاله بالمتوسط أو بمنطقة الشرق الأوسط[13]، ومن ثم كانت الاستراتيجية البحرية القائمة على محورية المضايق الإستراتيجية لا سيما مع تطور تقنيات التكنولوجيا البحرية، كما كانت من قبل ذات أهمية اقتصادية للدول المطلة عليها، وانطلاقا من أهمية الجغرافية وخصوصا المضايق البحرية برزت فكرة تدويل الملاحة البحرية كآلية جديدة لتنظيم سيرورة العلاقات بين الدول التي تحمل في جيناتها فلسفة المجالات الحيوية المتمددة أو القوى الدولية المتنافسة على المستعمرات. ونظرا لذلك سعى الاتحاد السوفيتي للسيطرة على مضايق البلقان والوصول إلى نهر الدانوب"[14].

---

[7]– جمال محمد الهاشمي، المحددات السياسية واستراتيجية العلاقات الدولية، ط1 (مكتبة دار الفجر–مركز الإصباح للدراسات الحضارية والسياسية والاستراتيجية 2018) ص 123–159

[8]– أحمد داوود أغلو، العمق الاستراتيجي، مرجع سابق، ص96–97

[9] – Halford J. Mackinder, The Round World and the Winning of the Peace, Foreign Affairs Vol. 21, No. 4(New York: Council on Foreign July 1943) P 595–605

[10]– روبرت د. كابلان، انتقام الجغرافيا، ترجمة، إيهاب عبد الرحيم علي، عالم المعرفة، ع420 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يناير 2015) ص84–91، 97،99، 409

[11] – Halford J. Mackinder, The Geographical Pivot of History, op.cit., p436

[12]– مايكل كلير، الحروب على الموارد: الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية، ترجمة، عدنان حسن، ط1(دار الكتاب العربي 2002) ص59

[13]– Nicholas J. Spykman, the Geography of the Peace (New York: Harcourt, Brace and Company1944) p 45

[14]– جمال محمد الهاشمي، المحددات السياسية، مرجع سابق، ص 204

ولتفعيل استراتيجية الاحتواء الأمريكية وتطبيقها على الواقع وضعت قاعدة "أنجرليك" في تركيا لضمان السيطرة الأمريكية على المنطقة الممتدة من أوروبا حتى القوقاز ويدخل ضمنها منطقتي البلقان والشرق الأوسط كامتداد طبيعي لاستراتيجية احتواء السوفيت، إضافة إلى أهميته الاقتصادية وخصوصا إمدادات الطاقة[15].

كما يتميز العراق بأهمية جغرافية كبيرة عبر التاريخ وهو منطقة حضارية قديمة توالدت فيه الكثير من الحضارات التقليدية التي غذت العالم بأفكارها وثقافاتها وقوانينها وأديانها، إضافة إلى أنه يتصل بتركيا فإنه يستقر في قلب الشرق الأوسط، وأهم القواعد الاستراتيجية التي يمكن من خلالها تحديد مصير منطقة الشرق الأوسط بما فيها إيران والشام والجزيرة العربية، ولموقعه أهمية جيوسياسية ومنطقة ارتطام؛ حيث يربط الخليج العربي والبحر الأحمر، وآسيا الوسطى وبحر قزوين، وهضبة الأناضول وشرق أوروبا والهلال الخصيب؛ وقد تفطن "ديفيد ورمسير" لأهمية موقع العراق الجيو إستراتيجية، ووضع فرضيته القائلة أن من يسيطر على منطقة العراق يتحكم بالهلال الخصيب والجزيرة العربية[16]، هذا بالنسبة في الرهان الموضوع على منطقة الشرق الأوسط.

أما أوروبا باعتبارها القوة المنظرة والمتحكمة بالعالم فقد أهتمت بآراء مفكريها الذين أدركوا فضيلة الجغرافيا، وجعلوا من شرق أوروبا وسيلة للسيطرة على قلب الأرض التي تتحكم بالجزيرة العالمية وهو ما دفع بأمريكا للدخول في الحرب العالمية الثانية لإعاقة دون الاتحاد السوفيتي من الاتصال بمنطقة الهلال الداخلي[17]، واستطاعت اضعاف النزعة اليابانية العسكرية وفصلها عن السوفيت كما أدرجتها تحت بند اتفاقية الإذلال والاحتواء، وأنشأت "أوكيناو" القاعدة الأمريكية لفصل اليابان عن ألمانيا والسوفيت، وأيضا لا عاقة التقارب الثقافي بين دول المنطقة الأسيان.

ولم تتوقف نظرية مركز الأرض والإطار واستراتيجية البحار عند قول منظريها الحداثيين لا سيما وأنها استراتيجيات لم تتحقق بكامل أهدافها ومن ثم فسر "روبرت كابلان" هذه النظريات بإضافة علم الاجتماع مما أعطاها قيمة معرفية واعية بمدركات القيم الأمريكية العالمية؛ ولذلك ربط بين الأمن القومي البريطاني وموقع بريطانيا الجيبولتيكي الآمن التي تحيط به البحار من كل اتجاه وتعزله عن العالم، وجعلها في منأى من التهديدات البرية ومكن لها من تكوين نظام ديمقراطي قبل الآخرين، بينما تعوقت ديمقراطية ألمانيا وأمنها بسبب جغرافيتها المفتوحة على التهديدات القادمة من الشرق والغرب لعدم وجود سلاسل جبلية تحميها، وهو ما جعلها تتراوح بين النزعة العسكرية والمثالية[18].

وقد تميزت جغرافية بريطانيا بوجود انسجام طبيعي مع الحدود الطبيعية؛ حيث يتناسب موقعها مع طبيعة المركز ويحدد سياستها بين التدخل عندما تمتلك مقومات الانفتاح على الخارج، والانطواء عندما لا تمتلك مقومات التدخل[19]، وقد منحها موقعها القدرة على الربط الجيو استراتيجي بين النظريات الاقتصادية الحرية، أو التجارة السلمية من جهة، وإدارة المستعمرات من جهة أخرى[20].

---

[15]– ريز لطيف صادق، العلاقات الأمريكية التركية في ظل عهد حزب العدالة والتنمية 2003–2011 (مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، غزة 2011) ص87–95

[16]– رضا محمد السيد سليم، الجغرافيا السياسية للعراق: دراسة في المحددات المكانية لوظائف الدولة (رسالة ماجستير منشوره على النت، مصر–جامعة الزقازيق، يناير 2008) ص405

[17] –Halford J. Mackinder, The Round World and the Winning of the Peace, op.cit., p–60

[18]– روبرت د. كابلان، انتقام الجغرافيا، مرجع سابق، ص141–158

[19]– أحمد داوود أغلو، العمق الاستراتيجي، مرجع سابق، ص39–40

[20]– عبد الحي يحي زلوم، حروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد، ط1(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2005) ص307–308

كما يؤكد "كابلان" على وجود نظريات إقليمية قائمة على التكامل بين الموقع والثقافة، حيث تتربع الصين على المحيط الهادي وتمتد حتى آسيا الوسطى التي فيها قلب العالم وفقا لنظرية ماكنيدر، وفي المقابل تسعى روسيا للحصول على منافذ بحرية إلى المحيط الهندي[21]، وهنا يأتي دور القوانين الدولية لإحجام الطموحات التوسعية بالقوة وفقا للإرادة الغربية الأكثر تأثيرا على العالم منذ بداية الحداثة ونهاية الدولة العثمانية.

يرى هارفارد ماكيندر أن روسيا تسعى للسيطرة على جغرافية الإمبراطورية المغولية وهو ما يجعلها قادرة على فتح المعارك المتعددة الاتجاهات على تركيا والصين وإيران والهند واسكندنافيا وبولندا، وتمددها في المناطق الهامشية لقلب أوراسيا ومن ثم الولوج على أحد المنافذ المائية التي يمكنها من بناء أسطول بحري يجمع بين استراتيجية القوة البرية والقوة البحرية[22].

وهو ما دفع بدول الأطلس لاحتواء نفوذ روسيا وذلك بإدخال أوكرانيا ضمن الشراكة الاقتصادية؛ والتي تفصل بين دول شمال الأطلسي وروسيا كمنطقة احتواء أو رأس المواجهة مع روسيا، وتحتل أكثر من نصف مساحة البوابة الشرقية المؤدية إلى أوروبا، وبوابة التهديدات الآسيوية التاريخية، وتنظر إليها روسيا كمقدمة لحماية أمنها من دول أوروبا، كما تأخذ بيلاروسيا نفس الأهمية كجغرافية برية تربط بين البحر الأسود وبحر البلطيق[23].

ويشير كل من كابلان وماري سلوتر إلى البحر المتوسط كموقع استراتيجي ومنطقة تتداخل فيها العوامل الثقافية والاقتصادية، وهو ما يستدعي أعادة توسيع جغرافية القواعد العسكرية الأمريكية لوقوعها بين بين ثلاثة تهديدات جيوسياسية موزعة بين الشرق الأوسط وآسيا، وانتشار السلاح النووي، ومشكلة المكسيك في الجنوب، ومن الضرورة على أمريكا حل مشاكل التخوم المحيطة بها قبل أن توزع قواها وتمحور اهتمامها بالقضايا العالمية[24].

ولترتيب أمريكا وجودها في هذه المناطق سعت لتأمين حدودها القومية بفتح قناة بنما لتعزيز قوتها البحرية، وسيطرتها على المحيط الهادي[25]، وفي عام 1983 أقدمت أمريكا على غزو جزيرة غرينادا بدعوى ضمان إمدادات النفط الأمريكية، وفي 1989 تدخل الرئيس جورج بوش في بنما، وعين حكومة موالية له قبل أن تتحول إلى قاعدة عسكرية[26]. ومن ثم بدأت استراتيجية أمريكا العظمى على جزيرة العالم القديم الذي أشار إليها عباقرة الفكر الجيوسايسي، وهي الوجه الناعم لنظرية التمدد العضوي الذي أصل له الفكر النازي والقائلة بأن الدولة تتناسب تناسبا طرديا مع احتياجاتها الاقتصادية والبشرية وقد بنيت هذه الفلسفة على الفكر الطبيعي ونظريات دارون وراتزل والحتمية التاريخية لهيجل والدروينية الاجتماعية لهربرت سبنسر ورغم توافق الاستراتيجيات في الغاية إلا أن الوسائل بينهما مختلفة[27].

أولا: المحدد الاجتماعي:

---

[21]– سجيني دولارماني، الاقتصاد الأمريكي، الجميل والقبيح، الإمبراطورية الأمريكية، صفحات من الماضي والحاضر (مجموعة مؤلفين)، ط1، ج1(القاهرة: مكتبة الشروق 2001) ص145

[22] – Halford J. Mackinder, The Geographical Pivot of History, op.cit., p436

[23]–Mackubin Thomas Owens, “In Defense of Classical Geopolitics,” Naval War College Review, vol. LII, no. 4 (autumn 1999)p 44

[24]– روبرت د. كابلان، انتقام الجغرافيا، مرجع سابق، ص141–158

[25]– سجيني دولارماني، مرجع سابق، ص145

[26]– عبد الحي يحي زلوم، مرجع سابق، ص168

[27]– جمال محمد الهاشمي، المحددات السياسية واستراتيجية العلاقات الدولية، مرجع سابق، بتصرف

يعتبر المحدد الاجتماعي من الموضوعات التاريخية والقضايا المعاصرة التي انتجت عدة مفاهيم سياسية أوروبية ونظمت آلية التفكير الاستراتيجي التي استهدفت مجتمعات الشرق الأوسط الموبوء بالاستبداد والانبهار بالحضارة الأوربية التي برزت لها ظواهر حضارية استهلاكية في دول العالم الثالث.

وقد وظفت العلوم الإنسانية لخدمة القرار والتوجهات السياسية للقوى الاستعمارية حيث ركز "أنجلز وليفنسون"على أهمية البحوث الانثربولوجية لتفسير سيكولوجية الأمم؛ وأيدته "مارجريت نميد" وحددت الهدف من دراسة الجماعات الحضارية بمعرفة السلوك الدولي، من خلال بتحليل السياقات الحضارية لنمط المعيشة ولمعرفة الطابع القومي المحدد لتوجهات المجتمع والسلطة والأهداف العسكرية[28].

ومنها المفاهيم الذي وضعها برنارد لويس أو العضويات الاجتماعية التي وظفت لتفكيك قوى الدول من داخلها بالطرق السلمية دون استخدام أدوات الاستعمار التقليدية القائمة على القوة والنزعة العسكرية لما لها من نتائج عكسية قد تحفز المشاعر القومية وتحفز التماسك المحلي لمواجهة الاستعمار المباشر، ومن ضمن ما ركز عليه برنارد لويس المرأة كقوة مستهلكة للثقافة الغربية وخصوصا الديمقراطية وذلك تبعيتها للمظاهر الحضارية.

بالإضافة إلى دور الإثنيات أو الأقليات داخل الدولة والتي تدخل في صدامات مع بعضها للدفاع عن حقوقها أو مطالبها الانفصالية كردة فعل تحررية لممارسات السلطات السياسية الطبقية واحتكارها للنفوذ والثروة؛ حيث يرى أن ذلك يكون عبر تدويل الحقوق الإنسانية والليبرالية، المساواة الجنسية وحقوق المرأة والأقليات، حيث أفاد أن ذلك سيوسع الفجوات الطبقية ومن ثم الصراع على السلطة والثروة وتحقيق النموذج اليوغسلافي أو النموذج اللبناني ومن توسيع الحروب الأهلية وتدمير أو اضعاف القوى البشرية التي تهدد أمن إسرائيل والذي قد يجعلها عنصرا مقبولا مع انتشار وبروز دويلات إثنية داخل منطقة الشرق الأوسط الأكثر تنوعا وتعددا ثقافيا وعرقيا وأيدلوجيا ودينيا [29].

ومن مدخل المواطنة وفقا للرؤية التي حددتها السياسة القرمطية (نسبة الى القرامطة في العصر العباسي) وانطلقت منها كأيديولوجية مساواتية للدفاع عن المقهورين من النقابات العمالية والمهمشين الذين علقوا عليها الآمال فقامت الثورات الزنجية النقابية لمواجهة نفوذ واحتكار الثروة في دولة بني العباس؛ حيث أشار برنارد لويس إلى استراتيجية التدمير الذاتي ودعم ذلك بالأدلة التاريخية كمؤرخ سياسي عقائدي مدرك لأبعاد الوعي التاريخي ومناسبات تفعيله، وذلك من خلال دعم القومية ابتداء لتفكيك المفهوم الإسلامي، ثم الحدود القطرية لتفكيك القومية، ثم استخدام الأقليات والإثنيات لتفكيك وحدة الدولة القطرية[30].

وقد استطاع المفكر الأمريكي (جوزيف ناي) بناء على هذه القراءات الاجتماعية والنفسية أن يحلل النفسية البيولوجية للطبيعة الشرق أوسطية وتراكماتها التاريخية حيث قال: أن العنف والفوضوية التي تتسم بها مجتمعات دول العالم الثالث هي نتيجة من نتائج الاستعمار الغربي، ومن ثم وضع استراتيجية الاجتماع السياسي القائمة على محور الدبلوماسية الشعبية أو الاستراتيجية الناعمة التي سيسود فيها النظام الديمقراطي ويغيب مع وجودها نظرية السلطة السياسية واستبدادية السيادة القومية[31].

ومع أهمية جميع المحددات التي تفسر سيادة الدولة إلا أن الذهنية العربية ما زالت محتفظة بمفهوم السيادة وسياسة عدم التدخل في تنظيراتها المعاصرة التي تغيرت فيه كل معالمها السياسية، كما تعاني من أزمة الدور السياسي، وضعف الحس الأمني أو الجيواستراتيجي؛ لا سيما

---

[28]– قدرى حفني، تجسيد الوهم: دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية (القاهرة: مركز الدراسات الفلسطينية، سبتمبر 1971) ص15-16

[29]– برنارد لويس، تنبؤات مستقبل الشرق الأوسط، ط1 (بيروت: شركة رياض الريس للكتب والنشر، يناير 2000) ص71-75

[30] – برنارد لويس، النقابات الإسلامية، مجلة الرسالة للأدب والعلوم والفنون، ترجمة، عبدالعزيز الدوري،ع8/362 (القاهرة: 10 يونيه 1940) ص698

[31]– جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الأمريكية، تعريب، محمد توفيق البجيرمي، ط1 (الرياض: مكتبة العبيكان 2003) ص34-35

وأن معطيات الواقع تعكس تصورا بديلا لنظام توازن القوى الذي كان سائدا لضمان عدم التدخل بين قوى الحرب العالمية الثانية درئا لحروب عالمية أخرى؛ حيث كان مفهوم سيادة الدولة وما زال من الموضوعات الرئيسية بين القوى الدولية العظمى وقوى الاستعمار التقليدية.

وفي الوقت الذي كان منظرو العرب يكتبون عن مفهوم السيادة والدولة القومية كانت القوى المنتصرة التي أقرت مفهوم السياسة تبرر لمفاهيم أخرى؛ منها سياسة التدخل لحماية حقوق الأقليات بعد الحرب العالمية الثانية في منتصف القرن التاسع عشر[32].

كما ربط المفكر الأمريكي "ويكوم" بين الحروب والصراعات والدول القومية، ولحل إشكالية أزمة الدولة دعا لمفهوم الحكومة العالمية واستبدال القومية الإثنية بالقومية الإنسانية[33]، وبناء عليه اقترحت كندا إنشاء لجنة دولية تنظم العلاقة بين التدخل والسيادة الوطنية لحماية الإنسان العالمي من استبداد القومية القطرية، ومن ثم أقر المجتمع الدولي من خلال الأمم المتحدة حق التدخل العسكري لحماية حقوق الأقليات والإثنيات، أو ما يترتب عليه من إرهاب وامتهان لحقوق الإنسان، وعجز الدولة عن حماية الإنسان تجاه أي أعمال عنف اجتماعية، أو ضلوعها في أي من هذه الأعمال اللاإنسانية[34]، ودعم الإعلام العالمي فكرة الحقوق وقدمها للشعوب بصورة متحدية للنظام القائم، ومن وضعت سياسة استراتيجية جديدة أدخلت الأقليات والفرد في الجانب المعارض للسلطة أو كندِ مساوٍ للسلطة السياسية بدعم الأمم المتحدة الراعية للمواثيق الدولية، وترتب عليه تنمية وعي الرأي العام بحقوقه المكفولة دوليا وفقا للمعاهدات الدولية.

وقد تجاوزت الحرية المطلقة القيود القانونية وانتظمت في فلسفة الفوضى واللانظام واللاوعي؛ مما أفسد المجتمع نتيجة للانفتاح الذي أضر بوحدته وتلاشى مع انفتاحه الوعي والخصوصية القومية التي وجدها فكرة مجردة لا تمت لكرامة المواطن بشيء من معاني الكرامة القومية، ومن ثم تحولت فضيلة الحرية إلى رذيلة حجبت الحقوق وأندرست معها الواجبات[35]وتنمط المجتمع بثقافة الاستهلاك والثورة مما أفقده قيمته الذاتية، ومكن القادة الانتهازيين من الوصول إلى السلطة[36]. وقد وسعت السلطات العربية الفجوة بين المجتمع واحتياجاته المادية، ومن ثم الفجوة بين السلطة والشعب والتي دمرت التماسك الاجتماعي، وقضت على فضيلة التكامل والتراحم الاجتماعي مما جعل المجتمعات تتلاشى باندماجها في المادة المجردة عن القيم.

وضع "كلود" الأسس العامة لنظريات اجتماعية تتناول فيها الطبيعة النفسية للسلطة باستقراء مصادر المعرفة التاريخية والاجتماعية والنفسية والتقاليد والموروثات السياسية واستكشف معامل التأثير على الوعي السياسي المتوارث والنفسية الاجتماعية ووسائل التربية والتعليم والتنشئة[37]، ومن مدخل النظرية الاجتماعية برزت أيدلوجيا العولمة لتفكيك الدولة من داخلها وإلغاء مفهوم السيادة وإبراز

---

[32]– صادق محروس، المنظمات الدولية والتطورات الراهنة في النظام الدولي، السياسة الدولية، ع 122(أكتوبر 1995) ص 17

[33]– إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات (القاهرة: المكتبة الأكاديمية 1991) ص 233

[34]– أمين مكي مدني: التدخل والأمن الدوليان: حقوق الإنسان بين الإرهاب والدفاع الشرعي، المجلة العربية لحقوق الإنسان، المعهد العربي لحقوق الإنسان، ع10 (تونس: يونيو 2003) ص 113–114

[35]– يورغن هابرماس، جوزف راتسنغر ، جدلية العلمنة : العقل والدين، تعريب، حميد لشهب،ط1(بيروت: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، يناير 2013) ص69

[36]– ريمون غوش، الفلسفة السياسية في العصر السقراطي (بيروت: دار الساقي 2008) ص7، 80

[37] – اندروكيربى، تركيب الصور الجيوبولوتيكية: العالم كما يراه بيجلز وشخصيات خيالية أخرى، في كلاوس دودز، ديفيد أتكنسون (محرران)، الجغرافية السياسية في مائة عام: التطور الجيوبولتيكي العالمي، ترجمة، عاطف معتمد، عزت زيان، ج1(القاهرة: المركز القومي للترجمة 2010) ص96–99

فواعل اجتماعية واقتصادية وتنظيمات مدنية عابرة للقوميات وترتب على ذلك غياب شرعية الدولة كممثل اجتماعي كما تلاشت مكانة الدولة اقتصاديا مع بروز منظمة التجارة الدولية ونفوذ المؤسسات الدولية[38].

ولكون السياسة الغربية تعمل في جميع الاتجاهات فقد اكتسبت خبرة تجريبية في التعامل مع الشعوب العالمية، وخصوصا الشعوب العربية حيث تتميز الذهنية الغربية بموروث معرفي كبير عن المجتمعات والنظم السياسية والقوى العسكرية والتاريخية، ولها قاعدة بيانات تربط الواقع بالتاريخ لكل دولة وتترجم الوعي الجقيقي لطل ذلك، وتجيش الباحثين في مختلف تخصصاتهم لإثراء صناع القرار السياسي بالمعارف الدقيقة والقائمة على أصول بحثية عميقة لا تفسر الظواهر القائمة وإنما تبحث عن أسباب ابتعاثها[39].

استطاعت أيدلوجيا الإنسانية أن تقدم الدعم الإنساني للشعوب المستهدفة وتبني من خلال مفاهيم الإنسانية قاعدة بيانات معرفية عن الخصائص المعرفية والدينية والنفسية للشعوب في الوقت الذي رأت النظم السياسية العربية أن الأعمال الإنسانية لا تهدد سيادة دولها أو الأمن القومي، وهكذا تطورت نظرية المحددات الاجتماعية كبعد استراتيجي محتمل يمكن تحقيقه من خلاله تهديد الدولة المستهدفة من داخلها بثورات اجتماعية وإثنية وطبقية وقبلية وجهوية، وذلك من أجل رفع مستويات تطرف التنظيمات المحلية داخل الدولة تحت حماية مبدأ التدخل الإنساني لحفظ الكرامة الإنسانية وحماية حقوق الأفراد[40].

وبعد التحديد الاجتماعي يتبادر معطى آخر من معطيات الجيبوليتك وهو موقع الدول لأهميته في تحديد سياسة الدولة؛ حيث تكتسب الذهنية السياسية خبرة بواقعها ويتبين لها عوامل التكامل ومكامن التهديد وكلما اتسعت حدودها البرية مع الدول وغاب عنها المحميات الطبيعية كلما كان الاختلال الأمني أكثر عبئا وأكثرها عرضة للتهديد والتضييق الدولة الحبيسة وقد تتحول إلى دولة عضوية تسعى للبحث عن منفذ للاتصال بالعالم الخارجي باستخدام القوة العسكرية على العكس منها الدولة البحرية[41].

يعتبر المحدد الثقافي من المحددات المهمة لإبراز طبيعة النخبة واكتشافها، وتبرز هذه الأدوار عبر نظريات المعرفة أو فكرة توسيع نطاق الحرية الصحافية وحريات التواصل بالإضافة إلى انتشار مراكز البحوث وخصوصا في منطقة الشرق الأوسط، وترتبط مجريات الثقافة بالنخبة وطبيعتها الفيسولوجية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية.

يؤسس المحدد الثقافي لفكرة الاندماج أو التقارب الأصولي أو الثقافي، و يعد من أهم محددات السياسة التي قامت عليها القوميات الحديثة والمعاصرة، "وقد تبنت روسيا بعد الشيوعية مبدأ العودة إلى العمق التاريخي السلافي الأرثودكسي المكون من اليونان وصربيا وبلغاريا وقبرص؛ لمواجهة تحديات الكاثوليكية والمانيا، والتحدي الإسلامي في البلقان، ووظفت هذه المقومات بغية الحصول على منافذ بحرية من خلال الصرب واليونان بهدف الوصول الى الإدرياتيكي والمتوسط مقابل الدعم الروسي لليونان وقبرص وحمايتهما من تطويق الدول الإسلامية[42]، وبالفعل دخلت روسيا في صراع مع تركيا على مناطق القوقاز والبلقان من خلال عنصر الترابط الثقافي والبيولوجي من دول المنطقة المؤيدة لها، ووسعت من تحالفتها مع بريطانيا وبروسيا ضد تركيا أثناء استقلال اليونان[43].

---

[38]– محمد إبراهيم منصور، العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، ع 288 (أوغسطس 2002) ص 149

[39]– محمد تاج الدين الحسيني، المجتمع الدولي وحق التدخل، سلسلة المعرفة للجميع، ع 18 (الرباط: منشورات رمسيس2001) ص 161

[40]– الفقرة (3) ديباجة القرار 131–34، ميثاق الأمم المتحدة

[41] – بيتر تيلور، كوفان فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، عالم المعرفة، ع 285 (الكويت: المجلس الوطني للآداب والتراث والفنون، يوليو 2002) ص97

[42]– محمد نور الدين، تركيا الجمهورية الحائرة :مقاربات في الدين والسياسة والعلاقات الخارجية (بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق 1998) ص294

[43]– محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافية السياسية والجيوبولتيكا (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 2012) ص239–242

قسم ماكيندر بالخط المتصل من الأدرياتيكي إلى البلطيق على أصول ثقافية، وسياسة الفصل الثقافي بين جمهوريات البلطيق والتشيك والثقافة السلافية، وألحقت بولندا والمجر المرتبطان بالثقافة الرمانية والكاثوليكية بالمعسكر الغربي، ثم تفككت يوغسلافيا، وظهرت الخطوط الجيوثقافية والاقتصادية داخل ساحات الفراغ الجيوسياسي، وهو ما أفقد الحدود صفتها القانونية وأصبحت البوسنة وكوسوفو مناطق صراع[44] إثني ثقافي وديني.

ويربط ماكندر كعادته بين التاريخ والوعي ويرى أن الحتمية الجغرافية والصراع الأوربي- الأوربي هو صراع بين قوى من حضارة واحدة على حضارات مختلفة بيولوجيا وأصوليا، وفي طرف الصراع الآخر روسيا وموطن الغزاة "الهارتلاند"؛ بينما تقع الحضارات الأخرى كضحية ارتطام بين القوى الغربية المتنافسة[45].

كان "ناي" قد رأى أن العامل الاجتماعي هو المتغير الوحيد والحل الناعم بدلا عن السياسات التقليدية القائمة على القوى الصلبة والدبلوماسية الاقتصادية حيث يؤكد على أن نمو الشعور القومي يجعل من الاستعمار بالقوة الصلبة باهظ التكلفة كما أثبتته التجارب للقوى العظمى في فيتنام وأفغانستان؛ والتي ترتب عليه انهيار السوفيت بعد بضعة عقود من انهيار الإمبراطورية الأوربية، حيث يرجع إلى المتغير الاجتماعي بعد الثورة الصناعية الذي حول اهتمام الشعوب عن المجد إلى الرفاه الاجتماعي؛ وذلك لأن الحروب تحتاج إلى تبريرات تهذب أخلاق المحاربين في الديمقراطية الحديثة[46].

ولا يزال العامل الاجتماعي محل اهتمام القوى الأوربية التقليدية لا سيما وقد ساعدت سياسة حماية الاقليات والتدخل المباشر من ظهور الثقافات الإثنية والصراعات الاقتصادية مما مكن من استمرار نفوذ القوى الاستعمارية التقليدية في المنطقة[47]، كما أثر على الخصوصيات الثقافية ومن ذلك تعدد اللغات المستمر التي أعادت تشكيل الثقافات المندمجة وقيمها المتداخلة كما حدث ذلك في منطقة الصومال الممزقة بين استعمار أوربي متعدد في اللغات القومية والتاريخ الثقافي[48].

ويعتبر الشرق الأوسط هو منطقة فوضى بيولوجية إثنية واقتصادية وسياسية وجيوبوليتكية وأصوليات ثقافية وطائفية فلسفية متداخلة، وهي المرج الذي تلتقي بها ينابيع الحضارات العالمية وثقافاتها[49] وقد ظل الشرق الأوسط خاضعا للغرب بما يزيد عن قرنين أكثر من أي منطقة أخرى لقوى متعددة، ولا توجد منطقة في العالم ارتبط مصيرها بالاستعمار المتعدد الثقافة كهذه المنطقة، وهو ما جعلها أحد مناطق صناعة التحولات الدولية والمواقف السياسية والصراع الدولي[50].

وقد تأثرت هذه المنطقة بامتدادها الأسيوي سواء بالغزوات أو الاستيطان الناتج عن الفتوحات الإسلامية حيث كانت أفغانستان ومحيطها أكثر مناطق العالم تأثيرا على منطقة الشرق الأوسط لا سيما وأن أفغانستان تقع في قلب المنطقة الممتدة من العراق الى الصين وتحيط بها الثقافات والشعوب المختلفة التركية والمغولية والهندية والفارسية والصينية وهي بوابة الهند والصين والدول المستقلة من الاتحاد السوفيتي ومنطقة تقاطع الثقافات الحضارية؛ حيث تقع افغانستان بين إيران غربا، و تركمانستان وأوزبكستان وتاجيكستان من الشرق، وباكستان في الجنوب، والصين من الشمال الشرقي، وقد مكن لها موقعها الجيوبوليتكي من الاختلاط والتواصل مع حضارة اليونان

---

[44]-أحمد داوود أغلوا، العمق الاستراتيجي، مرجع سابق،ص136-137

[45] جمال محمد الهاشمي، المحددات السياسية، مرجع سابق، ص350

[46]- جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الأمريكية، مرجع سابق، ص33-34

[47]- علي إبراهيم عبد الواحد، حكايات من أرض الصومال (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب 2007) ص7

[48]- حورية توفيق مجاهد، لإسلام في أفريقيا وواقع المسيحية والديانات التقليدية (القاهرة: مطبعة الأنجلو مصرية 2002) ص16

[49]- جمال محمد الهاشمي، المحددات السياسية، مرجع سابق، ص 222

[50]- L. Carl Brown, International Politics and the Middle East: Old Rules, Dangerous Game (Princeton: Princeton university press 1984) p3

والرومان والهند والصين، ومن الغرب والحضارة العربية الإسلامية، وهي منطقة احتكاك بين المغوليين في الهند والصفويين في فارس، وبين الانجليز في الهند والروس في بلاد ما وراء النهر حيث كبحت جماح الروس من الوصول الى مياه المحيط الهندي ثم الاحتكاك بين السوفيت والبريطانيين بعد الحرب العالمية الأولى، ونتيجة لكل تلك العوامل الاجتماعية كانت ضحية الحرب الباردة بين السوفيت وأمريكا، ومع أنها منطقة صراعات تاريخية بين الحضارات ومخزون سكاني كبير في الوقت التي يجعلها طاردة للسكان[51]، وهو الذي دفع بالهجرات منها إلى منطقة الشرق الأوسط خلال فترات الحكم الإسلامي وخصوصا مع الدولة العثمانية، كما تقترن معها شبها كل دول آسيا الوسطى وإيران وباكستان، ومن ثم كانت أكثر الهجرات التي شكلت أقليات ومعتقدات مختلفة في منطقة الجزيرة العربية والمنطقة العربية هذا التداخل الثقافي المتعدد والذي ما يزال يسيطر على منطقة قوس الأزمات والعالم العربي بما فيها دول الشمال الأفريقي.

وتتحدد الأنماط الفكرية بالبنية الثقافية الفوقية وهي التي تحدد صفات الشخصية الاجتماعية، وتقترب من علم الاجتماع ولا تطابقه لأسباب طبقية وثقافية، وتُستخدم في تحليل جدلية العلاقة بين الفكر ومعطيات الواقع لإبراز مخرجات الإنتاج الفكري في البحث عن جينولوجيا النشأة[52]؛ يسمى علم الاجتماع في إنجلترا بعلم دراسة الشعوب، وفي أمريكا علم دراسة الثقافات البشرية، بينما يسمى في فرنسا بعلم دراسة الإنسان العضوي[53].

استخدمت النظريات الاجتماعية كأداة سياسية للاستراتيجيات الاستعمارية بشقيه الحديث والمعاصر[54]، وتعد الإثنولوجيا من أهم العلوم التي يمكن وظفت لاستشراف المستقبل[55] عبر المقارنة بين الشعوب والثقافات[56] والتاريخ والجغرافيا[57].

ويتحدد علم الاجتماع بالثقافة الماركسية التي تركز على احتياجات المجتمع ورفاهيته، والبرجوازية التي تركز على رفاهية الفرد وحاجته[58]؛ لهذا السبب تتناقض قراءة المحددات بين العالم الإسلامي من جهة والعوالم الأخرى التي اختزلت المحددات الثابتة في المتغيرة[59]

وبناء عليه فإن العامل الاجتماعي يتشكل بعنصر التاريخ والمكون الديني والأيدلوجي والعادات والتقاليد والعنصر الاقتصادي وهي التي تشكل المنظور الاجتماعي أيضا كنظريات واستراتيجيات.

وقد فسر ماركس جدليته من مدخل التاريخ والاقتصاد والطبقة الاجتماعية ولانقاذ المهمشين من الاقطاع الكنسي وصف المعتقدات بالأفيون ورأى المسيطرين على الأيدلوجيا يحتكرون القوة المادية – لضمان السيطرة على الوعي الاجتماعي وتنميته على ثقافة العبودية وبما يخالف الواقع ويخدم مصالح الطبقة المسيطرة على الانتاج، ولا يرتبط هذا التطور بنظرية التآمر بل يفسرها بفكرة العواقب العكسية

---

[51]– محمد عدنان مراد، الصراع في افغانستان والعوامل المؤثرة، مجلة اتحاد الكتاب العرب، ع 4، 5 (دمشق: 1998 – 1999) ص 193

[52] – هرسكوفيتز، ميلفيل. ج، أسس الأنثروبولوجيا، ترجمة، رياح النفاخ (دمشق: وزارة الثقافة 1974) ص59

[53]– كلايد كلاكهون، الإنسان في المرآة، ترجمة، شاكر سليم (بغداد–نيورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر 1964) ص209

[54]– شارلوث سيمور– سميث، موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثربولوجية، ترجمة، مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، في محمد الجوهري(مشرفا) ط2، ع 62/ 2 (القاهرة: المركز القومي للترجمة 2009) ص11

[55]– أرمانو سالفاتورى، المجال العام؛ الحداثة الليبرالية والكاثوليكية والإسلام، ترجمة، أحمد زايد، ط1(القاهرة: المركز القومي للترجمة 2012) ص61–63

[56]–فاروق عبد الجواد شويقة و"آخرون"، الأنثروبولوجيا، الموسوعة الأفريقية، مج4 (جامعة القاهرة: معهد البحوث والدراسات الأفريقية، 1997) ص12

[57]– شارلوث سيمور–سميث، موسوعة علم الإنسان، مرجع سابق، ص69

[58]– سلوى علي سليم، الاسلام والضبط الاجتماعي، الاسلام والضبط الاجتماعي: دراسة ميدانية، ط1 (القاهرة: دار التوفيق النموذجية– مكتبة وهبة، أكتوبر 1985) ص إ–ب

[59]– محسن صالح، التقرير العالمي لمؤشر مراكز البحوث 2014 (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 22 يناير 2015)

التي تخلق الاغتراب –أو تكرس الاستلاب–، ويتحمل الأفراد مسؤولية إنتاج الثقافة، وهم الذين اغتربوا عنها لطبقة صنعها الشعب لتستبد به حيث تتكون الطبقات المسيطرة من الفلاسفة والمفكرين ورجال الدين والفنانين كحالة تاريخية ومعتقد تاريخي [60].

وقد قسم "ألفريد فيبر" مجالات التأثير على الحياة الإنسانية إلى عمليات اجتماعية تتكون من الجوانب المادية للتنظيم الاجتماعي، وعمليات حضارية تتكون من معرفة العقل والعلم والتكنولوجيا، وعمليات ثقافية قال هيردر: بخصوصيتها وتميزها. بينما أرجع "فيبر" اضطراب المفكرين لعدم قدرتهم في التمييز بين العمليات السابقة، وقد تطرف "ماركس" بالعمليتين الحضارية والاجتماعية. أما "هيردر" فقد تطرف في تركيزه على العمليات الثقافية[61].

كانت الفلسفة المثالية تضع تصوراتها الثقافية والتي جاءت عن طريق الوعي التاريخي الاجتماعي الأكثر ارتباطا بالحوادث السياسية حيث رأت أن الحياة البشرية أفكارا وصورا عقلية، انتج العالم المادي، ويرون أن العالم الاجتماعي وليد ثقافة خاصة شكلتها عدة عوامل بيولوجية وسياسية واقتصادية وتاريخية، ولذلك رأى ماركس أن الثقافة نتاج اجتماعي وبذلك يعتبر أول من جعل المجتمع محددا للثقافة الاجتماعية ومحددا للنظم السياسية والاقتصادية والطبقية، وأن وعي الناس من منظوره لا يرسم حدود وجودهم؛ بل الوجود الاجتماعي هو الذي يرسم نطاق الوعي وحدوده[62].

ووصف "دارسو" الثقافات والطقوس التي تشكل الوعي الاجتماعي في نطاق جغرافي متعين بالتقاليد العمياء لتاريخية الوعي التقليدي بما فيه امتلاك الملحد لمخزون ثقافي مقدس وطقوس أخرى تعذب الجسد، وأخرى ترى: بأن المشاعية أصل براءة الإنسان، وكلها من الثقافات تتضمن جهة مجتمعية معينة في جغرافية مستقلة تشكل تنظيمات مغلقة كما أن الزمان والمكان قد يكونا مقدسين أو مدنسين ومتناقضين وفقا لما استدل به وبحث عنه الفيلسوف الاجتماعي "أليلد" [63].

بهذه التكوينات الجغرافية والاجتماعية نشأت نزعة الذات والأنا المفارقة للآخر في جميع الثقافات العالمية وإن ادعت أنها مع ثقافة المكون الإنساني الذي فرضته الضرورات من أجل الأمن تارة أو استخدامه للتفكيك تارة أخرى. وقد تحولت الموضوعات الفكرية سواء بما يتعلق بالفكر المنطقي لعلم الجغرافيا أو علم القوانين الاجتماعية،

مع فلسفة الحداثة العقلانية إلى قوانين طبيعية شكلت المركزية القطبية بصفتها الاجتماعية أو الجغرافية وقسمت العالم من حيث سياقاته الاجتماعية إلى: اللاهوتية والتاريخية والعقلانية[64]، بينما قسم العالم جغرافيا إلى دول الجنوب ودول الشمال كما وردت تقسيمات اقتصادية وعرقية.

ووفقا للتقسيم الاجتماعي من الناحية البيولوجية فقد استقر عند الفلاسفة أن الناس يتفاوتون مكوناتهم الطبيعية[65]، ومن معايير التمييز العرقي الثقافة كمعيار بين الأدنى كمعطى اقتصادي والأعلى الذي يخلق المعرفة، وعلى ذلك كان لهتلر من قبله الإمبراطور" وليم الثاني" تحيزات عنصرية ضد الروس والصين واليابان واللاتين.

---

[60]– ديفيد انغليز، جون هيوسون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة، لما نصير، ط1(الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، مارس 2013) ص42

[61]– نفسه، ص47

[62]– نفسه، ص20–21

[63]– أرثر أيزابرجر، النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة، وفاء إبراهيم، رمضان بسطاوسى، ط1 (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة 2003) ص206–207

[64]– آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمة، أنور مغيث (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة 1997) ص22–23

65– أميرة حلمي مطر، جمهورية أفلاطون، مهرجان القراءة للجميع (94) (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994) ص10، انظر: سعيد عقل، شعره والنثر: بنت يفتاح، المجدلية، قدموس، مج1 (نوبليس 1991) ص 109

واعتقد كونت دجوبينوأن الثقافة صفة ذاتية لطبقة النبلاء والمثقفين من الآريين والتيوتين لأن العرق يسبق الثقافة وينتجها، ولذلك دعا "دبلابوج" إلى الفصل الطبقي الاجتماعي وتشكيل التحيزات الاجتماعية كوسيلة لحفظ الدم النورديكي النبيل عن العامة، وبالمثل استخدم "هتلر" هذا التوجه العرقي لمحاربة الديمقراطية واليهود والأعراق الأخرى[66] لأنها تتناقض مع الحتمية الطبيعية.

ولذلك عندما تمكنت أوروبا من السيطرة على أفريقيا استساغ الزنوج ثقافة الأسياد رغبة في تحقيق المساواة أو القبول الاجتماعي فقوبلوا بالعنف والتعذيب؛ ومن ثم تجسد في نفسية الزنوج انحطاط جنسهم ودونيته، ووطنوا أنفسهم على ذلك[67] وذلك وفقا للتقسيم الطبيعي للثقافة والمجتمع على أساس التقسيم البيولوجي.

الخاتمة:

تشكل علم الجغرافيا الاجتماعية مرتبط بأبعاد جيوسياسية واستراتيجية للقوى الدولية في منطق جديد من مناطق الذهنية السياسية الغربية والتي توصلت إلى أن التعامل مع علم الجيبوليتك ونظريات المجال الحيوي في القرن التاسع عشر ومشروع الاستعمار ونظريات الجيواستراتيجية لما يعد يتناسب مع الظروف الحالية التي هيئت الحال لتحولات جديدة متجاوزة نظرية السيادة والحدود القومية بالمفهوم القطري إذا كان عربيا وخصوصا في منطقة الشرق الأوسط، التي بدأت معها فكرة الدولة الإثنية والطائفية والدول الجهوية المليئة بالنزعات الانفصالية الاستغراقية للذات والعامل التاريخي في مخزون القبلية ومراعيها، لا سيما بعد فشل مشروع الدولة القومية فكريا وعسكريا واقتصاديا وسياسيا على المستوى الإقليمي والدولي وقانونيا وثقافيا على الصعيد المحلي.

وقد أسهمت هذه العوامل التي كانت من نتاج الدولة القطرية إلى اتساع الفجوة بين النظام والمجتمع محليا وترتب عليه الفجوة بين الذهنية الجيوسياسية والحدود القومية حسب تفكير المنطق الجغرافي. ومن ثم تجاوزت نظريات الحدود الجغرافيا (الإرادة الشعبية) حدود السيادة القومية التي وضعت بشروط منطقية حافظت على بقائها الدولة الأوربية، وفشلت في تطبيقها الدول العربية، بل كانت وسيلة من وسائل توسيع الفجوات بين الدول القطرية منذ بداية انطلاقة هذه المشروع القومي المتعدد الأيدولوجيات المستبدة والمعتقدات المتصلبة ضد بعضها.

وحينها كان منطق المحددات الجغرافيا تؤسس لفكرة العالمية وخصوصا مع استمرار تدفق الهجرات العربية الى أوروبا لا سيما دول الحدود المتصلة جغرافيا وأيضا الشعوب المقهورة التي رأت أن السباق نحو العالمية والعالم الأوربي سيحل أزمة الحدود القطرية التي خنقت الشعوب وفصلتها عن بعضها لا سيما مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية العالمية وبفضل اللغة الإنجليزية التي أخذت موقع الصدارة الاقتصادية والعمالة العالمية، وصاحبها انحدار اللغات القومية خصوصا اللغات الافريقية والعربية وتبعها بالضرورة انحسار الثقافات الخصوصية وفي المقابل تشكلت بدايات عالمية لمفهوم الثقافة العالمية ستعم الجيل القادم لا سيما بعد تلاشي الجيل القائم في اربعينيات السنوات القادمة.

ومع هذا فقد تزامن مع فكرة المحددات الجغرافية الاجتماعية تعاضدها مع استراتيجيات الجيبوليتك وسقوط بعض الدول القومية الشرق أوسطية كالعراق وسوريا وفي طريقها دول أخرى بين فكي الحدد الاجتماعي والمحدد الجغرافي.

المراجع:

1. أحمد داوود أغلو، العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة، محمد جابر ثلجي، طارق عبد الجليل، ط2 (الدوحة–بيروت: مركز الجزيرة للدراسات–الدار العربية للعلوم ناشرون 2001)

66– فريدريك هرتز، القومية في السياسة والتاريخ، ترجمة عبد الكريم أحمد (القاهرة: الهيئة العام لقصور الثقافة 2011) ص74

67– دينيس سميث، الأجندة الخفية للعولمة، ترجمة، علي أمين علي، ع1672، ط1(القاهرة: المركز القومي للترجمة 2011) ص222

2. أرثر أيزابرجر، النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة، وفاء إبراهيم، رمضان بسطاوسى، ط1 (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة 2003)
3. أرمانو سالفاتورى، المجال العام؛ الحداثة الليبرالية والكاثوليكية والإسلام، ترجمة، أحمد زايد، ط1(القاهرة: المركز القومي للترجمة 2012)
4. إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات (القاهرة: المكتبة الأكاديمية 1991)
5. آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمة، أنور مغيث (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة 1997)
6. أميرة حلمي مطر، جمهورية أفلاطون، مهرجان القراءة للجميع (94) (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994)
7. أمين مكي مدني: التدخل والأمن الدوليان: حقوق الإنسان بين الإرهاب والدفاع الشرعي، المجلة العربية لحقوق الإنسان، المعهد العربي لحقوق الإنسان، ع10 (تونس: يونيو 2003)
8. اندروكيربى، تركيب الصور الجيوبولوتيكية: العالم كما يراه بيجلز وشخصيات خيالية أخرى، في كلاوس دودز، ديفيد أتكنسون (محرران)، الجغرافية السياسية في مائة عام: التطور الجيوبولتيكي العالمي، ترجمة، عاطف معتمد، عزت زيان، ج1(القاهرة: المركز القومي للترجمة 2010)
9. برنارد لويس، النقابات الإسلامية، مجلة الرسالة للأدب والعلوم والفنون، ترجمة، عبدالعزيز الدوري، ع8/362 (القاهرة: 10 يونيه 1940)
10. برنارد لويس، تنبؤات مستقبل الشرق الأوسط، ط1 (بيروت: شركة رياض الريس للكتب والنشر، يناير 2000)
11. بيتر تيلور، كوفان فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، عالم المعرفة، ع 285 (الكويت: المجلس الوطني للآداب والتراث والفنون، يوليو 2002)
12. بيترتيلور، كولن فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، ج1، ترجمة، عبد السلام رضوان، إسحق عبيد، عالم المعرفة، ع282 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يونيو 2002)
13. جمال محمد الهاشمي، المحددات السياسية واستراتيجية العلاقات الدولية، ط1 (القاهرة: بوردو: مكتبة دار الفجر-مركز الإصباح للدراسات الحضارية والسياسية والاستراتيجية 2018)
14. جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الأمريكية، تعريب، محمد توفيق البجيرمي، ط1 (الرياض: مكتبة العبيكان 2003)
15. حورية توفيق مجاهد، لإسلام في أفريقيا وواقع المسيحية والديانات التقليدية (القاهرة: مطبعة الأنجلو مصرية 2002)
16. ديفيد انغليز، جون هيوسون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة، لما نصير، ط1(الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، مارس 2013)
17. دينيس سميث، الأجندة الخفية للعولمة، ترجمة، علي أمين علي، ع1672، ط1(القاهرة: المركز القومي للترجمة 2011)
18. رضا محمد السيد سليم، الجغرافيا السياسية للعراق: دراسة في المحددات المكانية لوظائف الدولة (رسالة ماجستير منشوره على النت، مصر-جامعة الزقازيق، يناير 2008)
19. روبرت د. كابلان، انتقام الجغرافيا، ترجمة، إيهاب عبد الرحيم علي، عالم المعرفة، ع420 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يناير 2015)
20. ريز لطيف صادق، العلاقات الأمريكية التركية في ظل عهد حزب العدالة والتنمية 2003-2011 (مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، غزة 2011)
21. ريمون غوش، الفلسفة السياسية في العصر السقراطي (بيروت: دار الساقي 2008)

22. سجيني دولارماني، الاقتصاد الأمريكي، الجميل والقبيح، الإمبراطورية الأمريكية، صفحات من الماضي والحاضر (مجموعة مؤلفين)، ط1، ج1(القاهرة: مكتبة الشروق 2001)
23. سعيد عقل، شعره والنثر: بنت يفتاح، المجدلية، قدموس، مج1 (نوبليس 1991)
24. سلوى علي سليم، الاسلام والضبط الاجتماعي، الاسلام والضبط الاجتماعي: دراسة ميدانية، ط1 (القاهرة: دار التوفيق النموذجية- مكتبة وهبة، أكتوبر 1985)
25. شارلوث سيمور- سميث، موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثربولوجية، ترجمة، مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، في محمد الجوهري(مشرفا) ط2، ع 62/ 2 (القاهرة: المركز القومي للترجمة 2009)
26. صادق محروس، المنظمات الدولية والتطورات الراهنة في النظام الدولي، السياسة الدولية، ع 122(أكتوبر 1995)
27. عبد الحي يحي زلوم، حروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد، ط1(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2005)
28. علي إبراهيم عبد الواحد، حكايات من أرض الصومال (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب 2007)
29. فاروق عبد الجواد شويقة و"آخرون"، الأنثروبولوجيا، الموسوعة الأفريقية، مج4 (جامعة القاهرة: معهد البحوث والدراسات الأفريقية، 1997)
30. فريدريك هرتز، القومية في السياسة والتاريخ، ترجمة عبد الكريم أحمد (القاهرة: الهيئة العام لقصور الثقافة 2011)
31. الفقرة (3) ديباجة القرار 131-34، ميثاق الأمم المتحدة
32. قدرى حفني، تجسيد الوهم: دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية (القاهرة: مركز الدراسات الفلسطينية، سبتمبر1971)
33. كلايد كلاكهون، الإنسان في المرآة، ترجمة، شاكر سليم (بغداد-نيورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر 1964)
34. مايكل كلير، الحروب على الموارد: الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية، ترجمة، عدنان حسن، ط1(دار الكتاب العربي 2002)
35. محسن صالح، التقرير العالمي لمؤشر مراكز البحوث 2014 (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 22 يناير2015)
36. محمد إبراهيم منصور، العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، ع 288 (أوغسطس 2002)
37. محمد تاج الدين الحسيني، المجتمع الدولي وحق التدخل، سلسلة المعرفة للجميع، ع 18 (الرباط: منشورات رمسيس2001)
38. محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافية السياسية والجيوبولتيكا (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 2012
39. محمد عدنان مراد، الصراع في افغانستان والعوامل المؤثرة، مجلة اتحاد الكتاب العرب، ع 4، 5 (دمشق: 1998 – 1999)
40. محمد نور الدين، تركيا الجمهورية الحائرة :مقاربات في الدين والسياسة والعلاقات الخارجية (بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق 1998)
41. ميشيل هيفرتان، نهاية قرن ام نهاية عالم؟ في أصول الجيوبوليتيكا الأوربية 1890-1920، في كلاوس دودز، ديفيد أتكنسون (محرران)، الجغرافية السياسية في مائة عام: التطور الجيوبولتيكي العالمي، ترجمة، عاطف معتمد، عزت زيان، ج1 (القاهرة: المركز القومي للترجمة 2010)
42. هرسكوفيتز، ميلفيل. ج، أسس الأنثروبولوجيا، ترجمة، رياح النفاخ (دمشق: وزارة الثقافة 1974)
43. يورغن هابرماس، جوزف راتسنغر، جدلية العلمنة : العقل والدين، تعريب، حميد لشهب،ط1(بيروت: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، يناير2013)

44. Halford J. Mackinder, The Round World and the Winning of the Peace, Foreign Affairs Vol. 21, No. 4(New York: Council on Foreign July 1943)

45. Robert O. Keohane, After Hegemony: Cooperation and Discord in the World Political Economy (New Jersey: Princeton University Press 1984)
46. Halford J. Mackinder, The Round World and the Winning of the Peace, Foreign Affairs Vol. 21, No. 4(New York: Council on Foreign July 1943)
47. L. Carl Brown, International Politics and the Middle East: Old Rules, Dangerous Game (Princeton: Princeton university press 1984)
48. Nicholas J. Spykman, the Geography of the Peace (New York: Harcourt, Brace and Company1944)